

اجتهادات هوجو .. وديكنز

لا يقل الأديب الإنجليزي شارلز ديكنز أهمية عن نظيره الفرنسي فيكتور هوجو. أديبان كبيران من أعظم أدباء القرن التاسع عشر، بل أعظمهم في رأى غير قليل من النقاد والمهتمين.

ولكن، عندما أشرت إلى رواية هوجو البديعة، البؤساء، فى اجتهاد 12 ديسمبر الحالي، ببؤساء هذا العصر، فى سياق المقارنة بين البؤس الذى يحرك الاحتجاجات الحالية فى فرنسا، وما كان موجودا فى منتصف القرن التاسع عشر حين كُتبت هذه الرواية (نُشرت عام 1862)، أثير سؤال مهم عن مغزى عدم حصول ديكنز على مكانة مماثلة رغم أن كتاباته تعالج القضية نفسها. وتعود أهمية السؤال إلى عدم وجود فرق فى مستوى أعمال الأديبين، ومن ثم عدم منطقية التفاوت فى مكانتهما، إذ لا تقل رواية قصة مدينتين مثلاً فى أهميتها عن رواية البؤساء، رغم أن الأخيرة أحدثت تأثيراً أكبر إلى حد أن القضايا التى أثيرت من خلالها نوقشت فى الجمعية الوطنية الفرنسية ومع ذلك ربما نجد فرقا فى سيرة كل من الأديبين. كان هوجو مثقفا أكثر شمولاً، إذ شمل إبداعه الشعر والرسم، بل عُرف فى فرنسا لفترة طويلة بوصفه شاعراً بالأساس. كما كان أكثر إيجابية تجاه قضية الظلم الاجتماعى، التى تُعد قاسماً مشتركاً فى أعمال الأديبين، إذ تعاطف مع الفقراء والمسحوتين فعلياً وليس روائياً فقط. وعلى سبيل المثال، خصص هوجو قيمة بيع لوحات رسمها لأنشطة اجتماعية، وأخرى صحفية وثقافية، تصب فى مصلحة العمال، والفقراء

عموما. كما أوصى بتخصيص مبلغ كبير من تركته لأنشطة اجتماعية يستفيد منها الفقراء.

كما كان هوجو أول من طالب بإلغاء عقوبة الإعدام، ولم يكتف بالتعبير عن فكرته بشأنها روائيا فى رواية مذكرات محكوم بالإعدام، وإن عادله ديكنز فى مجال الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعى، إذ كان من دعاة إلغاء العبودية. لكن انحياز هوجو إلى قضايا التقدم كان منهجا فى حياته، إذ وقف مع انتفاضة 1848 فى فرنسا، واختار المنفى بعد أن استولى نابليون الثالث على السلطة وأقام امبراطورية عام 1851، ولم يعد إلا بعد سقوطه عام 1870 رغم وجود قانون عفو عام منذ 1859.